شيزر

منذ زوال حكم بنى منقذ

حتى أواخر القرن التاسع الهجرى

الثالث عشر الميلادى

اعداد الدكتور

عبدالله بن سعيد محمد سافر الغامدى

أستاذ مشارك تاريخ العصور الوسطى

جامعة أم القرى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العظيم المنان، المتفرد بالكمال، مصرف الخلائق بين رفع وخفض، وبسط وقبض، وإيجاد وفناء، يؤتى الملك من يشاء، وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شئ قدير، وأصلى وأسلم على أشرف خلقه رسوله محمد نبى الهدى، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الأطهار، أعلام الورى، ومصابيح الدجى، ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين ... وبعد

شيزر بفتح الشين المعجمة وسكون ا لياء وفتح الزاء وبعده راء مهملة[١]، مدينة قديمة جاء ذكرها بإسم "سنزال" أو "سيزار". فى حملات كل من الملك تحوتمس الثالث (١٤٩٠-١٤٣٦ ق م) والملك منتوحتب الثانى (١٤٣٦-١٤١٣ق م)[٢]، وفى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، قام الملك سلوقس الأول (٣١٢ - ٢٨٠ ق م) بتغيير اسمها الى " لاريسا Larissa "، بعد أن أسكنها مهاجرين من لارسيا فى منطقة شاليا Thessalie فى اليونان[٣]. غير أن البيزنطيين أسموها "سيزر"، ثم أطلق عليها العرب قبيل ظهور الإسلام مسمى

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٣٨٣. أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٦٢، ٢٦٣، ابن الشحنة الدر المنتخب فى تاريخ حلب، ص٢٣١، القلقشندى، صبح الأعشى، ج٤، ١٢٨ .

(٢) Gardiner, A. H, Ancient Egyptian Onomastica, Vol.I,p.p126, 19, 209

(٣) فيليب حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، جـ٢، ص ٢١١، ٢٢٥ .

"شيزر"، حيث وردت بهذا المسمى فى إحدى قصائد الشاعر امرئ القيس، حيث قال فيها :

تقطع أسباب اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزر[١]

ويبدو أن امرئ القيس سلك طريق الشام فى طريقه إلى قيصر، وأنه مر بمدينة شيزر، وظلت تعرف بهذا الإسم حتى بعد ظهور الإسلام، بدليل أنها وردت أيضا بهذا المسمى، فى بيت من قصيدة للشاعر عبدالله بن قيس الرقيات قال فيه:

فواحزنا إذ فارقونا وجاوروا سوى قومهم أعلى حماة وشيزرا[٢]

---

(١) انظر أبو الفدا، المختصر فى تاريخ البشر، ج ١، ص ١٥٩، والذى يجدر ذكره هنا أن بيت الشعر الذى أشار فيه أمرئ القيس صراحة إلى شيزر، ذكره كل من فيليب حتى فى مقدمته لكتاب الاعتبار، ص ث، ومحمد جاسم المشهدانى فى كتابه، تاريخ إمارة بنى منقذ العربية، ص ٩، ولكن بصيغتين مختلفتين، فصيغته عند الأول :

تقطع أسباب اللبانة والهوى عشية رحنا حماة وشيزرا

أما عند الثانى فصيغته :

تقطع خلان الصبابة والصبا عشية جاوزنا حماة وشيزرا

والرجوع إلى ديوان الشاعر أمرئ القيس ص٣٣٥ اتضح أن صيغته الصحيحة هى

تقطع أسباب اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا

(٢) انظر ياقوت، المصدر نفسه، ج٣، ص٣٨٣، فيليب حتى، مقدمة المصدر نفسه، محمد جاسم المشهدانى، المرجع نفسه، ص٩

وقد أوضح فيليب حتى أنها "سيجر" الحالية، وأنـها تقع على الشاطئ الأيمن لنهر العاصى، وتبعد خمسة عشر ميلاً إلى الشمال الغربى من مدينة حماة، وأنها منقسمة إلى قسمين أحدهما واقع ضمن القلعة على الرابية، وهو البلد، أما الثانى فهو قرب الجسر على نهر العاصى، وهو المدينة، وأن مؤرخى الصليبيين أطلقوا عليها إسم قيصرية Caesarea ، وأحياناً قيصرية العاصى تمييزاً لها عن قيصرية الروم، أو قيصرية الشام[١]، وقد وصفها ابن العديم بأنها "مدينة صغيرة، وفواكهها كثيرة، ولها قلعة حصينة، ومدينة تحت مدينة"[٢]. وتتربع على هضبة صخرية منتصبة على ضفة نهر العاصى الغربية، ويكللها حصن لا يزال قائما حتى اليوم، ويعرف باسم "سيجر" تحريف شيزر. والهضبة التى تقوم عليها المدينة مرتفعة، ويحيط بها النهر من جهاتها الثلاث، فغدت بذلك شبه جزيرة، وتم حفر خندق فى الصخر الذى يصل شبه الجزيرة بالبر مما زاد فى مناعتها، ويحيط بها سور من لبن،

---

(١) أنظر فيليب حتى، المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٧٧، ٣٨٩، وقيصرية الروم، ويقال لها أيضا "قيسارية" نسبة الى قيصر، مدينة كبيرة فى آسيا الصغرى، ذات أشجار وبساتين وفواكه وعيون، وبداخلها قلعة حصينة، وقد غدت هذه المدينة فيما بعد ثانى مدن سلاجقة الروم، والعاصمة الثانية بعد قونية (انظر أبو الفدا، المصدر نفسه، ص ٣٨٢، ٣٨٣، القزوينى آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٥٣، ٥٥٤، كى لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٧٤، أما قيسارية الشام: فهى بلد على ساحل بحر الشام، تعد من أعمال فلسطين، بينها وبين طبرية ثلاثة أيام (انظر ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص٤٢١) .

(٢) ابن العديم، بغية الطلب فى تاريخ حلب، جـ ١، ص ١٤٥

ولها ثلاثة أبواب اهمها يفتح نحو حصن أطلق عليه "حصن الجسر"[١]، ويبدو أن هذا الباب يفتح إلى جهة الشمال حيث يدخل منه قاصد شيزر، ويعبر جسرا حجريا منحدرا من عدة عقود أقيم على النهر، يعد المنفذ الوحيد لقلعتها، ويؤدى إلى الجسر الحجرى المعروف بجسر بنى منقذ، الذى يعبر منه المرء مباشرة نهر العاصى باتجاه الحصن الذى وصف بأنه "من أمنع القلاع وأحصنها على حجر عال" ليس له سوى مسلك واحد "منقور فى طرف الجبل، وقد قطع الطريق فى وسطه، وجعل عليه جسر من خشب، فإذا قطع ذلك الجسر تعذر الصعود إليه"[٢]، وبما أن القلعة ظاهرة الطول وأقيمت على هضبة ذات نتوء فقد أطلق عليها البعض "عرف الديك"[٣] وقد ظهر ذلك بوضوح لكون القلعة أقيمت على طرف وعر يتجه من الشمال إلى الجنوب، وكان البلد الأعلى داخل هذه القلعة، وكانت حصونه من طرفيها الشمالى والجنوبى تعد أمنع من الطرفين الآخرين، وهناك قنطرة مقامة على نهر العاصى[٤].

---

(١) على محمد الغامدى، بلاد الشام قبيل الغزو الصليبى، ٢٦١، ٢٦٢، حاشية رقم ٤، بلاد الشام قبيل الغزو المغولى، ص٨٢، ٨٣، حاشية رقم ٣، محمد محمد الشيخ، الإمارات العربية فى بلاد الشام، ص٤٦، ٤٧.

(٢) ابن الأثير، الباهر فى الدولة الأتابكية، ص ١١٠.

(٣) انظر اسامة بن منقذ، المصدر نفسه، المقدمة، ص ت، محمد المشهدانى، المرجع نفسه، ص ٢٠.

(٤) محمد جاسم المشهدانى، المرجع نفسه ص ١١.

وإلى جانب أهمية موقع شيزر، وتحصيناتها الطبيعية، التى أكمل الإنسان حصانتها بإجراء بعض التعديلات فيها، وكذلك بإدخال بعض الزيادات عليها، فقد تمتعت شيزر بمستوى إقتصادى عال، جعلها محط أنظار القوى المتنافسة منذ القدم، إذ أن شيزر غنية بمواردها الإقتصادية، وبالأخص الزراعية منها، نظرا لخصوبة أرضها، ووفرة مياهها لوقوعها على ضفاف نهر العاصى الذى يحيط بها من ثلاث جهات، فضلا عن كونها أشتهرت بكثرة نواعيرها التى تستخدم لرى الأراضى المرتفعة عن مستوى مياه النهر، إضافة إلى أنها كانت تحوى أحواضا مائية واسعة، تتجمع فيها مياه الأمطار التى تهطل عليها فى فصل الشتاء، وتكثر فيها الخلجان المائية، وهذا بدوره أدى إلى تنامى الغابات الطبيعية الكثيفة بشيزر والتى يسميها أسامة بن منقذ بـ "الأوزار" وكانت مراكز تتجمع فيها أنواع مختلفة من الحيوانات البرية، كالأغنام والماشية والخيول والغزلان وحمر الوحش والفهود والأرانب وغيرها، إضافة الى الطيور على اختلاف أنواعها، وأشهرها طير الماء الدراج والحجل[1] .

فتح المسلمون شيزر صلحا سنة ١٥هـ/٦٣٨م، وذلك عندما تمكن قائد جيش المسلمين أبو عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنه من فتح حمص فى هذه السنة حيث استخلف عليها الصحابى الجليل عبادة بن الصامت رضى الله

---

(١) أسامة بن منقذ، المصدر نفسه، ص ٢٥٦ - ٢٦٤، محمد جاسم المشهدانى، المرجع نفسه، ص ١٤ .

عنه، وسار الى حماة، فتلقاه أهلها مذعنين، فصالحهم أبو عبيدة على الجزية لرؤوسهم والخراج على أراضيهم، ومضى الى شيزر، فخرجوا إليه يسألون الصلح على ما صالح عليه أهل حماة[١]، ثم أصبحت فيما بعد تتبع إداريا جند حمص[٢]، أما فى العصر الأموى، فيبدو أنها لم تشهد حوادث تاريخية بارزة بحكم أنها كانت جزءا من بلاد الشام المقر الإدارى لخلفاء الدولة الأموية، وخلال العصر العباسى الأول، ظلت شيزر تحت سيطرة الخلافة العباسية فى بغداد، شأنها شأن بقية مدن الشام الأخرى التى أحكم العباسيون قبضتهم عليها غداة سيطرتهم على مقاليد السلطة فى الدولة الإسلامية، عشية إطاحتهم بحكم البيت الأموى فى دمشق سنة ١٣٢هـ ٧٤١م، كما نجحوا فى حمايتها من اعتداءات البيزنطيين المتكررة على مدن الشام، إلا أن هذه السيطرة مالبث أن انفرط عقدها عندما دب الضعف والتفكك إلى جسم الخلافة العباسية منذ منتصف القرن الثالث الهجرى/أواخر القرن التاسع الميلادى،

---

(١) الواقدى، فتوح الشام، ج٢، ص٤٣، البلاذرى، فتوح البلدان، ص ١٣٧، ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج٢، ص٣٤٢، أبو الفدا، المختصر، ج١، ص ١٦٠، ابن الوردى، تتمة المختصر، ج١ ص٢٢٠، ابن خلدون، تاريخه ج٢،ص١٠٤ ، محمد كرد على، خطط الشام ج١ ص٨٧،٨٨، ليلى عبدالجواد اسماعيل، الدولة البيزنطية فى عصر هرقل، وعلاقتها بالمسلمين، ص ٣٨٣، أما فيليب حتى فى مقدمته لكتاب الاعتبار، ص ج، فقد ذكر أن فتح المسلمين لشيزر كان سنة ١٧هـ وقد جانب الصواب فى ذلك .

(٢) محمد جاسم المشهدانى، المرجع نفسه، ص ١٧، محمد محمد الشيخ، المرجع نفسه، ص ٤٧ .

والذى تمخض عن حركات إنفصالية ظـهرت علـى شـكل دويـلات مستقلة[١]، واللافت للنظر أن هذا التدهور السياسى الذى انتاب الخلافة العباسية آنـذاك، قابله صحوة عارمة شهدتها دولة الـروم البـيزنطيين، العـدو التقليـدى لدولـة المسلمين فى المشرق، لهـذا اهتبـل أبـاطرة بيزنطـة الفرصـة، وبـالذات نقفـور فوقاس Nicephours (٣٥١-٣٥٨هـ / ٩٦٣-٩٧٦م) وحنـا تزمسـكس John Tzimisces (٣٥٨-٣٦٥هـ / ٩٦٩-٩٧٦م) وقاما بحملات توسعية ضخمة على حساب ممتلكات المسلمين فى الشام[٢] اتخذ طابعا دينيا واضحـا، عـده البعـض عدوانا صليبيا أوليا على الوجود الإسلامى فى بلاد الشام، يؤكـد هـذا الرسـالة التـى بعـث بـها الإمـبراطور نقفـور فوقـاس سـنة ٣٥٢هـ/٩٦٤م إلى الخليفـة

---

(١) عن قيام الدويلات الإسلامية المستقلة، انظر محمد على حيدر، الدويلات الإسلامية فى المشرق، حـامد غنيم أبو سعيد، عصر الدول المستقلة، احمد عدوان، الدولة الحمدانيـة، بـدر عبدالرحمـن محمـد، الأغالبـة والأدارسة فى المغرب .

(٢) شهدت بيزنطة حركة إفاقة عظمى خلال الفترة الممتدة بـين سنتى ٢٥٣-٤١٦هـ/٨٦٧-١٠٢٥م، فقد نجح أباطرتها، مثل باسيل الأول ونقفور فوقاس، وحنا تزمسكس، فى أن يفرضوا سـيطرتهم علـى الحـوض الشرقى للبحر المتوسط، فقد تمكنوا من فرض سيطرتهم على مدن الثغور الشـامية، وكذلـك جزيـرة قـبرص، التى أدى استيلاؤهم عليها سنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م إلى إنهاء معاناتهم من هجمات المسـلمين علـى شـواطئ بحـر إيجة والأناضول، وتوج نقفور تلـك الإنتصـارات بالسـيطرة علـى أنطاكيـة سـنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م، كمـا نجـح تزمسكس فى السيطرة علـى بعـض مـدن الشـام الداخليـة، مسـتغلا مـا حـل بالمسـلمين آنـذاك مـن ضـعف وانقسام(ولمزيد من التفصيل، انظر حسنين ربيع، دراسات فـى تـاريخ الدولـة البيزنطيـة، ص ١٥٦-١٥٨، وأنظر أيضا عمر كمال توفيق، مقدمات العدوان الصليبى على الشـرق العربـى، الإمـبراطور يوحنـا تزمسـكس وسياسته الشرقية، ص١٦ - ١٨، جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٦٥ - ١٦٧ .

العباسى المطيع لله (٣٣٤-٣٦٣هـ / ٩٤٦-٩٧٤م) يتوعده فيها ويخبره، أنه قادم لا محالة لانتزاع الأرض المقدسة فى فلسطين وبيت المقدس[١]، إضافة إلى أنه عندما تسلم طرسوس من أهلها بالأمان سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م، صعد منبرها وقال لمن حوله "أين أنا ؟ فقالوا: أيها الملك على منبر طرسوس، فقال: لا ولكنى على منبر بيت المقدس وهذه تمنعكم من ذلك"[٢]، والذى يهمنا أن شيزر كانت إحدى المدن الشامية التى تعرضت لهذا الهجوم البيزنطى، وذلك فى سنة (٣٥٧هـ/٩٦٨م)، فقد هاجمها الإمبراطور نقفور فوقاس وألحق بها دمارا كبيرا، وأشعل النار فيها وأحرق مسجدها[٣] .

إلا أن إحتلال فوقاس المباشر لشيزر لم يدم سوى سنتين فقط، حيث شملتها معاهدة سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م، التى سويت بموجبها الأمور بين

---

(١) سيد أحمد الناصرى، الروم والمشرق العربى، ص ٣٢٧، سعيد عاشور، أضواء جديدة على الحروب الصليبية، ص١٨/١٩، والخليفة المطيع لله هو: أبو القاسم الفضل بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد(انظر ترجمته مفصلة فى ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج١، ص١٨٤، ابن العمرانى، تاريخ الخلفاء، ص١٧٧، ١٧٨، السيوطى، تاريخ الخلفاء، ص٤٠٩ – ٤٣٧، الذهبى، دول الإسلام، ص١٨٨ .

(٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١،ص١٤٣، ابن الوردى، المصدر نفسه ج١، ص ٤٣٤، وطرسوس، مسماة بإسم طرسوس بن ياوان بن يافث بن نوح عليه السلام، فقد ولد ياوان بن يافث، أياس والمصيصة وطرسوس وأذنة، والروم من ولد هؤلاء، وحلوا بلادهم، وعرفت بأسمائهم على تخوم الروم طرسوس وأذنة، والمصيصة وأياس"(انظر ابن العديم، بغية الطلب، ج١، ص ١٥٥،٢٢٢، وهى مدينة كبيرة، من أجل مدن الثغور، عليها سوران من حجارة(انظر الإصطخرى، المسالك والممالك، ص٤٧، كى لسترنج، المرجع نفسه، ص١٦٤، علية الجنزورى، الثغور الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية فى العصور الوسطى ص ٢٩، ٣٠) .

(٣) ابن العديم، زبدة، ج١، ص١٥٨ .

البيزنطيين ومدن شمال الشام[١]، إلا أن الخطر البيزنطى مالبث أن أطل برأسه من جديد زمن الإمبراطور باسيل الثانى Basil II (٣٦٦ - ٤١٦هـ/٩٧٦-١٠٢٥م) الذى هاجم سنة ٣٨١هـ/٩٩٢م عددا من مدن الشام من بينها شيزر، وألحق بها أضرارا بالغة، ثم دخلت شيزر بعد سنة ٣٨٣هـ/٩٩٣م مرحلة مد وجزر بين بيزنطة وقوى إسلامية مختلفة، ففى هذه السنة نجح الفاطميون فى فرض سيادتهم عليها بالقوة، إلا أن ذلك لم يدم طويلا، إذ عاود الإمبراطور البيزنطى باسيل الثانى تهديده لشيزر وتمكن من اقتحامها وأقام بها حامية بيزنطية، الأمر الذى أثار حفيظة الخلافة العباسية، التى اغتنمت فرصة هزيمة الجيش البيزنطى فى أفامية سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م، وتمكنت من إعادة شيزر إلى سيادتها، إلا أن باسيل مالبث، أن ضمد جراحه عشية هزيمته فى أفامية وشن فى السنة التالية هجوما سريعا على شيزر، تمكن خلاله من السيطرة عليها، حيث ظلت شيزر تحت الإحتلال البيزنطى طيلة ثمانين سنة تالية[٢].

---

(١) للوقوف على فحوى هذه المعاهدة مفصلة، انظر ابن العديم، المصدر السابق، ج١، ص١٦٣-١٦٩، ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٣٧، يحيى بن سعيد الأنطاكى، تاريخه، ص١٣٤، ١٣٥ .

(٢) لمزيد من التفصيل انظر، محمد جاسم المشهدانى، المرجع نفسه، ص١٨ - ٢٠ .

وفى شهر رجب من سنة ٤٧٤هـ/ ديسمبر ١٠٨١م، نجح الأمير سديد الملك على بن منقذ[١]، فى تحرير شيزر من نير الإحتلال البيزنطى، بعملية سلمية هادئة قامت على أساس إستمالة سكانها من المسلمين والمسيحيين معا، بما فى ذلك من بها من البيزنطيين أنفسهم ممن كان يقيم بحصن الخراص[٢]، وأقام بها إمارة، شملت إلى جانب ذلك بعض المدن والقرى القريبة منها، كعين تاب وبرزية، وكذلك وبقية الحصون التى كانت تخضع لسيطرة البيزنطيين على نهر العاصى، تعاقب على حكمها عدد من أفراد أسرته، الذين استمر حكمهم فيها حتى سنة ٥٥٢هـ/١١٥٨م، عندما تعرضت شيزر مع غيرها من

---

(١) ينتسب بنو منقذ الى قبيلة كنانة العربية، وهم بطن من عذرة الذين هم فرع من قبيلة كلب القحطانية، وكان بنو منقذ قليلى العدد، بحيث لا يمكن مقارنتهم بالقبائل العربية الأخرى فى بلاد الشام وإقليم الجزيرة، مثل كلاب وعقيل وطى وكلب، والشهرة التى نعم بها آل منقذ لا تعود إلى قوة عصبيتهم، بل إلى ما تمتع به أفراد أسرتها من صفات الشهامة والشجاعة، وإلى اهتمامهم بالعلم والأدب، وقد اشتهرت الأسرة بإسم جدها الكبير، منقذ بن سوار بن زياد بن رغيب بن مكحول بن الحارث بن عامر بن مالك بن أبى مالك بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن ملاك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان(انظر على الغامدى، بلاد الشام قبيل الغزو الصليبى، محمد جاسم المشهدانى، المرجع نفسه، ص٢٣) .

(٢) نقل المؤرخ سبط ابن الجوزى عن المؤرخ المعاصر – لهذه الفترة – فرس النعمة محمد بن هلال الصابى، نص رسالة قرأها فرس النعمة بخط على بن منقذ، توضح كيفية استيلائه على شيزر، ومعاملته لمن كان بحصن الخراص من البيزنطيين، جاء فيها "أحسنت الى أهله ولم أكلفهم ما يعجزون عنه، وخلطت خنازيرهم بغنمى، ونواقيسهم بأصوات المؤذنين عندى، وصرنا مثل الأهل مختلطين "انظر على الغامدى المرجع السابق، ص٢٦٤، محمد المشهدانى، المرجع نفسه، ص١٨٣) .

مدن بلاد الشام كحلب وحماة وأفامية وكفر طاب وحمص وسلمية وأنطاكية وطرابس وغيرها، لزلزال مدمر. هلك بسببه الكثير من أفراد أسرة بنى منقذ وعلى رأسهم حاكم شيزر آنذاك الأمير تاج الدولة محمد، أما من سلم منهم فقد "تشعبوا شعبا وتفرقوا أيدى سبأ"- على حد تعبير العماد الأصفهانى[1].

والواقع أن حكم بنى منقذ لشيزر كان يمر بوضع سيئ للغاية منذ فترة ليست بالقصيرة وبالتحديد منذ وفاة الأمير مرشد بن على سنة ٥٣٢هـ/١١٥٤م، حيث قلب أخوه سلطان لأولاده ظهر المجن، وأجبرهم على الخروج من شيزر، فقصد أكثرهم نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى فى حلب، حيث شكوا إليه ما فعله بهم، وطلبوا منه المساعدة ضده، إلا أنه لم يتمكن من قصد عمهم فى شيزر" والأخذ بثأرهم وإعادتهم إلى وطنهم، لاشتغاله بجهاد الفرنج، وخوفه من أن يسلم شيزر إلى الفرنج "وعندما توفى الأمير سلطان" وولى بعده أولاده "بلغ نور الدين عنهم مراسلة الصليبيين، فاشتد حنقه عليهم، وأخذ يتحين الفرصة المناسبة لضم شيزر إلى مشروع الجبهة الإسلامية المتحدة التى كان بصدد إعدادها فى ذلك الوقت تمهيدا لبدء

---

(١) انظر العماد، الخريدة، قسم الشام. ج١ ص٤٩٥، انظر أيضا ابن العبرى، تاريخ الزمان، ص ١٨٣

مرحلة الجهاد العسكرى الشامل لاستئصال الوجود الصليبى فى بلاد الشام من جذوره[١] .

وقد لاحت الفرصة لنور الدين محمود، عندما هلكت أسرة بنى منقذ كلها تقريبا بعد أن دمرت المدينة وتهدمت قلعتها، ولم تسلم بقيـة مرافـق الإمـارة بسبب تتابع حدوث الهزات الأرضية التى أدت إلى تقويض بقية المدن والقـرى التابعة لشيزر، حتى غدت بذلك هدفا للصليبيين، وعليـه بـادر نـور الديـن، بإصدار أوامره إلى بعض أمرائه وكانوا بالقرب منها فصعدوا إليها وتسـلموها، ثم وصل نور الدين إليـها وتسلمها منـهم، وأسرع بتعمير أسوارها ودورها وترميم ما تهدم من قلعتها، ويبدو أن مشـروع إعـادة إعمار شيزر وقلعتـها، كلف نور الدين أموالا طائلة عجز عن توفيرها فى حينه، لدرجة أنه اضطر إلى البحث عن ما تبقى من أموال وكنوز بنى منقذ، حيث سأل إمرأة تـاج الدولـة- التى نجت من الكارثة - عن تلـك الأمـوال، إلا أنـها أخبرتـه بأنـها لا تعلـم شيئا عن مكانها، وأنها ربما تعرضت للنهب، وإن كان قد تبقى منها شئ فهو

---

(١) انظر ابـن الأثير، الكـامل، ج٩، ص ٥٤، وانظـر أيضـا رنسـيمان، تـاريخ الحـروب الصليبيـة، ج٢،ص٥١٣، ٥١٤، وللوقوف على جهود نور الدين محمود فى تكوين الجبهـة الإسـلامية المتحـدة، (انظـر حسن حبشى، نور الدين محمود والصليبيون، عبدالله الغامدى، مقومات حركة الجهاد ضد الصليبـين زمـن عماد الدين زنكى وأبنه نور الدين محمود، مسفر الغامدى، الجهاد ضد الصليبيين فى الشرق الإسلامى قبـل قيام الدولة الأيوبية فى مصر، فايد حماد عاشور، جهاد المسلمين فـى الحـروب الصليبيـة (العصـر الفـاطمى والسلجوقى والزنكى)

تحت الأنقاض[١]، إلا أن هذا العجز المادى الذى كان يعانى منه نور الدين، لم يمنعه من توفير المال اللازم لإعمار شيزر حيث "أعادها جديدة"[٢] خوفا عليها من أن تتعرض لهجوم صليبى مفاجئ[٣].

وهذا ما حدث بالفعل ففى أواخر سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م، تعرضت شيزر لهجوم صليبى مباغت، حيث استغل ملك مملكة بيت المقدس الصليبية، بلدوين الثالث Baldwin II (٥٣٨-٥٥٨هـ/ ١١٤٣-١١٦٢م) مرض نور الدين محمود فى هذه السنة، ووصول جماعة من فرسان الصليبيين من الغرب الأوربى تحت زعامة "ثيرى كونت فلاندرز" إلى فلسطين، واتصل فى ذات الوقت بالأمير الصليبى رينالد شاتيون Reynald of Chatillon (أرناط) وحرضه على الخروج على رأس قوات الصليبيين فى إمارة أنطاكية الصليبية، للالتقاء به على مشارف شيزر لشن هجوم شامل عليها، لأن السيطرة عليها يمكنه من التحكم فى المجرى الأوسط لنهر العاصى، ورغم أن هذه القوات الصليبية مجتمعة بدأت حصارها الفعلى لشيزر، وكادت قلعتها الخربة أن تستسلم، لولا حدوث خلاف بينهم تطور إلى شجار بين القوى المحاصرة لها، ومرد ذلك أن الملك الصليبى بلدوين الثالث، كان قد وعد ثيرى كونت فلاندرز، بأن يسلمه مدينة شيزر مع ما يحيط بها من القرى والأعمال، كيما تكون نواة

---

(١) انظر ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص٣٠٧ .

(٢) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٩، ص٥٥ .

(٣) محمد محمد الشيخ، المرجع نفسه، ص٣٧٢، ٣٧٣ .

لإمارة يتولاها تحت إشراف ملك بيت المقدس، فى حين أن رينالد الـذى زعـم أن بنى منقذ كانوا يؤدون إتاوة لأنطاكية، طلب من ثيرى أن يبذل له الولاء عن شيزر، إلا أن الأخير رفض ذلك كليا، ولم يخطر بباله أن، يبذل الولاء لرجـل مثل رينالد لا ينتمى لأسرة عريقة النسب، وفى الوقـت الـذى لم يسـتطع فيـه الملك بلدوين فض هذا النزاع الـذى احتـدم بينـهما[١]، فقـد تمكـن نـور الديـن محمود من حشد أعداد كبيرة من قواته داخل شيزر، وانضم اليها من سـلم مـن كارثة الزلازل من أهل حمص وحماة وكفر طاب وأفامية وغيرها، واسـتطاع أن يجبر القوات الصليبية على التراجع عن هجومها علـى شـيزر حيـث اتجـهت شمالا لمهاجمة أفامية[٢].

وهكذا غدت شيزر ضمن مشروع الجبهـة الإسلامية المتحـدة، ونجـح نـور الدين فى إعادة الحياة فيها بشكل سريع إلى طبيعتها، فقـد حـرص علـى بنـاء مساكن عاجلة لإيواء سكانها الذين نجوا من الكارثة، كمـا أبطـل إبـان إقامتـه بشيزر "مظالم ومكوس ببلاده مقدارها مائة وخمسون ألف دينار"[٣] وفـى ذات الوقت رتب بها قوات كافية تحسبا، لأى هجوم عسكرى قد يشنه الصليبيـون

---

(١) رنسيمان، المرجع نفسه، ج٢، ص٥٦٣، ٥٦٤، ورينالد شاتيون: هو الأمـير الصليبى الـذى عـرف فـى المصادر الإسلامية بإسم أرناط، وصفه المؤرخ المعاصر أبو شامة فى كتابه الروضتين فى أخبار الدولتين، ج٢، ص٧٥، بأنه "أغدر الفرنجة وأخبثها وأفحصها عن الـردى والـرداءة وأبحثـها وأنقضـها للمواثيـق المحكمـة والأيمان المبرمة وأنكثها وأحنثها".

(٢) رنسيمان، المرجع نفسه، ج٢، ص٣٦٤، محمد محمد الشيخ، المرجع نفسه، ص ٣٧٣ .

(٣) ابن العديم، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٠٨ .

على شيزر، بسبب قلقهم من اتساع نطاق الجبهة الاسلامية، ولوقوع شيزر على نهر العاصى الذى تشرف من خلاله على الوادى، مما جعل لموقعها أهمية عسكرية، يمكن لأى قوة عسكرية صليبية أن تنطلق منه لتأكيد سيطرتها على مدن ساحل بلاد الشام، وكذلك مناطقه الداخلية[١].

ولهذا كان من الطبيعى، نظرا إلى موقع شيزر الهام كمعبر مألوف الى بلاد الشام الساحلية والداخلية، وما يتوقعه نور الدين محمود من تكرار تعرض شيزر لهجمات صليبية مباغتة، أن يتحرى نور الدين الدقة فى مسألة تعيين واليا عليها، فقد حرص على أن يسند ولايتها إلى أحد رجاله الأكفاء، حيث وقع اختياره على أخيه من الرضاعة مجد الدين أبى بكر بن الداية[٢]، الذى كان يتمتع بنفاذ الشخصية، وسداد الرأى وقوة البصيرة حيث وصفه ابن الأثير بأنه "كان أعظم الأمراء" منزلة عند نور الدين، وله من الإقطاع حلب وحارم وقلعة جعبر، لضمان سلامة أراضى شيزر من أى اعتداء، ولما توفى مجد الدين "رد نور الدين ما كان له إلى أخيه شمس الدين على بن الداية"[٣]، ويبدو أن هذا الرد لم يقتصر على مجرد انتقال الإقطاع فقط، بل شمل إمارة شيزر" .

---

(١) على الغامدى، المرجع السابق، ص ٢٦٥، ٢٦٦

(٢) أبو الفداء، المصدر السابق، ج٣، ص٣١ .

(٣) انظر، ابن الأثير، المصدر السابق، ج٩، ص ١٠٨. وجعبر. قلعة على الفرات بين بالس والرقة. قرب صفين، كانت قديما تسمى دوسر، فملكها رجل أعمى من بنى قشير يدعى جعبر بن مالك فسميت بإسمه(انظر ياقوت، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٤٢، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج٣، ق١، ص ١١٠ .

ولكن هذه الجهود التى بذلت، والأموال التى أنفقت، من قبل نور الدين محمود من أجل إعادة إعمار شيزر، وترتيب الأمور الإدارية والعسكرية بها، ذهبت ضحية هزات أرضية عنيفة ضربت المنطقة فى شهر شوال من سنة ٥٦٥هـ/يونيو ١١٧٠م، وصفها المؤرخ المعاصر العماد الأصفهانى بقوله "وأصبحنا يوم الاثنين الثانى عشر من شوال، وأنا فى خيمتى جالس، فأحسست بالأرض تحتى تموج كالبحر إذا عصفت به الرياح الهوادج، فما أروعها من زلزلة، وأصدعها آية من الله منزلة، وتواصلت الأخبار من جميع بلاد الشام بما أحدثته من الانهداد والإنهدام"[1]، وإضافة إلى دلالة هذا القول على فداحة الخسائر التى منى بها عدد من مدن بلاد الشام بما فى ذلك شيزر، بسبب هذه الهزات الأرضية العنيفة، فإنه فى ذات الوقت ينبئ عن الأوضاع السيئة التى آل إليها حال سكان هذه المدن، الذين هجر معظمهم مساكنهم فى المدن والقرى، وفضلوا العيش فى خيام نصبوها فى العراء تحسبا لحدوث هزات أخرى مدمرة[2].

ويبدو أن فداحة الخسائر التى حدثت لمدن الشام وفى مقدمتها شيزر، من جراء الهزات الأرضية التى ضربت المنطقة هذا العام، والتى أحدثت أضرارا

---

(١) انظر، سنا البرق الشامى، ص ٤٧، أما ابن العبرى فقد وصفها بقوله "ويوم الاثنين ٢٦ حزيران، ١٢ شوال، حدثت زلزلة عنيفة جدا، حتى اهتزت الأرض اهتزاز سفينة فى البحر، مما لم يسمع له مثيل فى العصور الغابرة (انظر، تاريخ الزمان، ص ١٨٣).

(٢) محمد مؤنس عوض، الزلازل فى بلاد الشام، عصر الحروب الصليبية، ص ٩٧.

بالغة على نطاق واسع من المناطق الخاضعة لسيطرة نور الدين محمود، كانت أقسى وقعا من سابقتها، والدليل على ذلك، أن نور الدين محمود لم يلجأ عندما ضربت الزلازل شيزر وغيرها من مدن الشام فى بداية النصف الثانى من القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى، إلى طلب المساعدة رسميا من الخلافة العباسية فى بغداد، بينما اضطر عشية حدوث زلزال هذه السنة إلى مكاتبة الخليفة المستنجد بالله (٥٥٥-٥٦٦هـ/ ١١٦٠-١١٧٠م)، يذكر له أمر الزلزلة ونكايتها فى بلاد الشام، ويطلب منه المساعدة فى إعادة إعمار ما خلفته الزلازل من دمار وخراب، وكانت الرسالة بإنشاء العماد الكاتب ومما جاء فيها "قد أحاط العلم الشريف أجله الله بهذه الحادثة التى ألمت بالشام، من الزلزلة التى لها الثغور بالانثلام، والمعاقل والحصون بالانهدام، وأن بالثغور الإسلامية شدة افتقار إلى تحصينها، وإعادة بناية حصونها، قبل أن يستفحل الداء، ويتفرغ لشغلها الأعداء، والحال مفتقرة لعمارة الثغور، وضبط الأمور .. إلى ذخائر وأموال تبذل وتدال، ولا غنى عن مساعدة ومساعفة بنفقات يستعان بها على سد الثلمة، ودفع الملمة، وتجديد العمارة الزائلة، وتسديد حال الزلزلة الهائلة"[1].

---

(١) انظر نص الرسالة فى ابن الفرات، تاريخه، م٤، ج١، ص٩٦، ٩٧، وانظر أيضا البندارى، المصدر نفسه، ص ٤٨، ٤٩ .

وعلى أية حال فإن نور الدين محمود، نجح مرة أخرى فى إعادة إعمار ما تهدم من شيزر، وغيرها من مدن شمال الشام، التى تعرضت لزلزال هذا العام، حيث "أحكم أسوار البلاد وجوامعها"، خوفا من تعرضها لهجوم من قبل القوات الصليبية فى ساحل بلاد الشام، وفى ذات الوقت قام الصليبيون أيضا بإعادة إعمار البلاد التى كانت تخضع لسيطرتهم آنذاك "فاشتغل كل منهم بعمارة بلاده خوفا من الآخر"- على حد تعبير ابن الأثير[١] .

وعندما توفى نور الدين محمود يوم الأربعاء حادى عشر شوال من سنة ٥٦٩هـ/١٥ مايو ١١٧٤م، قبل أن يجنى ثمار جهوده التى بذلها فى سبيل إكمال مشروع الجبهة الإسلامية المتحدة، وتولى الأمر من بعده ابنه الملك الصالح إسماعيل الذى لم يكن قد تجاوز الحادية عشرة من عمره، إنفرط عقد الدولة النورية، بسبب تنافس عدد من الأمراء النوريين على الفوز بمنصب الوصاية على عرش الملك الصغير[٢]، فلما علم صليبيو أنطاكية- وكانوا قد خرجوا يطلبون حارم - بذلك الخلل الذى اعترى الدولة النورية، "ساروا إلى

---

(١) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٩، ص١٠٦ .

(٢) للوقوف على تفصيله، انظر (ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٤٧، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١، ٨ ، ابن الأثير، الباهر، ص١٧٦، حسين مؤنس، رائد نصر، المسلمين على الصليبيين، نور الدين محمود، ص٢٩٤ — ٢٩٦، والذى يجدر ذكره هنا، أن نور الدين كان قد رزق من زوجته عصمت الدين خاتون إبنة الأتابك معين الدين أنر حاكم دمشق، ابنة واحدة وولدين هما الصالح إسماعيل، وقد توفى فى سن مبكرة من عمره قبل أن يبلغ العشرين عاما، جراء مرض عضال ألم به سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م . وأحمد الذى ولد بمدينة حمص سنة ٥٤٧هـ/١١٧٨م، وتوفى بدمشق طفلا (انظر ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٨٨، ٢٨٩، عماد الدين خليل، نور الدين محمود الرجل والتجربة، ص٤٨) .

شيزر" وذلك فى سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م ، إذ يبدو أنهم فرضوا عليها حصارا مجكما استمر حتى السنة التالية، شأنها فى ذلك شأن حارم التى لم يتخل الصليبيون عن محاصرتها إلا بعد أن هددهم الملك الصالح بقوله "إن الملك الناصر (صلاح الدين) واصل إلى الشام، وربما يسلم من بحارم إليه قلعتها، ويضحى فى جواركم" وبذل لهم مالا بمقدار ما أنفقوا مدة حصارهم لها، وانتظم الصلح ورحلوا[١].

وبعد أن نجح صلاح الدين فى إعادة ترميم مشروع الجبهة الإسلامية، بعد أن كادت تعصف بها الظروف عشية وفاة نور الدين، بحيث أصبحت تضم المناطق الممتدة، من جبال طوروس شمالا حتى خليج عدن جنوبا، ومن إقليم الجزيرة شرقا حتي برقة غربا، وبعد أن استثمر هذه الجبهة فى إنزال هزيمة ساحقة بالصليبيين فى معركة حطين الشهيرة سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، ومن ثم قام باستعادة مدن ساحل بلاد الشام من بيروت إلى غزة، وتوج ذلك باسترداد بيت المقدس من الصليبيين فى نفس السنة[٢]، قام فى سنة

---

(١) ابن العديم، المصدر السابق، ج٣، ص٣٥ .

(٢) للوقوف على مزيد من التفصيلات عن هزيمة الصليبيين فى معركة حطين، واسترداد مدن ساحل الشام منهم، انظر (سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٨٠٦ وما بعدها، السيد الباز العرينى، الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، القسم الأول "الأيوبيون"، ص٨٧ وما بعدها، محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص١٣١ – ١٤٣، حامد غنيم، الجبهة الإسلامية المتحدة، ج٢، ص٦٣ وما بعدها، عبدالله الغامدى، صلاح الدين والصليبيون، ص١٧٩ – ١٩٥، أرنست باركر، الحروب الصليبية، ص٨٢، ٨٣ Lane Poole; S; Saladin and the fall of kingdom of Jerusalem; pp211-219 .

٤٨٤هـ/١١٨٨م، بحركة استرداد شاملة لمدن شمال الشام، حيث استرد "فى ست جمع ست قلاع" هى جبلة واللاذقية وصهيون والشغر وبكاس وسرمانية، ثم توجه إلى حصن برزية وأخذه بالأمن، ثم دخل دربساك، وإلى بغراس فتسلمها، وبعد ذلك عزم صلاح الدين على قصد أنطاكية، فطلب منه صاحبها فى ذلك الوقت الأمير الصليبى بوهيمند الثالث Bohemond III (٥٥٩-٥٩٨هـ/١١٦٣-١٢٠١م)، الهدنة، فهادنه[١]، وقبيل عودته إلى دمشق، عرج على شيزر، وتفقد أحوالها، وأقر الأمير سابق الدين عثمان بن الداية على حكمها، وأضاف له جبلة[٢].

وعندما هب الغرب الأوربى لنجدة الصليبيين فى ساحل بلاد الشام، عشية استرداد صلاح الدين بيت المقدس منهم سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، حيث لبى الدعوة التى صدرت عن المقر البابوى فى روما فى هذا الشأن، عدد من حكام الغرب الأوربى، منهم الإمبراطور الألمانى فردريك الأول بربروسا Barbarossa Frederik (٥٤٧-٥٨٦هـ/١١٥٢-١١٩٠م)، استجاب أهل شيزر لأوامر صلاح الدين بضرورة الخروج للتصدى للجيش الألمانى، فقد ذكر ابن الأثير أنه عندما نما إلى صلاح الدين، خبر مسير الإمبراطور فردريك

---

(١) انظر الحريرى، الإعلام والتبيين فى خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، ص٨٤، ٨٥، وانظر أيضا، ابن الأثير، المصدر السابق، ج٩، ص١٩٠، ١٩١، أبو شامة، المصدر نفسه، ج٢، ص١٢٦ — ١٣٨، ابن واصل، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٥٨، ٢٥٩، ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٧٩ — ٩٤.

(٢) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٩، ص١٩٠.

لقصد بلاد الشام، استشار أصحابه، فأشار كثير منهم عليه بالمسير اليهم، واعتراض طريقهم ومحاربتهم قبل دخول بلاد الشام، إلاّ أن صلاح الدين رد عليهم بقوله "بل نقيم إلى أن يقربوا منا، وحينئذٍ نفعل ذلك، لئلا يستسلم من بعكا من عساكرنا "ولكنه فى ذات الوقت سيَّر ثلة من عساكره، منهم عسكر حلب وجبلة واللاذقية وشيزر وغيرهم إلى أعمال حلب "ليكونوا من أطراف البلاد ويحفظونها من عاديتهم"[١].

وينجلى من هذا، أن عسكر شيزر بقيادة أميرها سابق الدين عثمان بن الداية، كان يقوم مع بقية عساكر مدن شمال الشام الأخرى، كحلب وجبلة واللاذقية وغيرها، بدور ثغرى هام، بهدف التصدى للاعتداءات المتكررة على الدولة الأيوبية من خلال المداخل الشمالية المؤدية إلى آسيا الصغرى، وهذا ما أكده كل من ابن الأثير وابن شداد اللذان عبَّرا عن ذلك بقولهما "ليكونوا من أطراف البلاد .. "

والواقع أن هذه المهام الثغرية، التى كانت تضطلع بها مدن شمال الشام ومنها شيزر، لم يقتصر دورها على محاولة التصدى لجيش فريدريك بربروسا، قبيل أن يتفرق أيدى سبأ، غداة غرقه فى أحد أنهار قيليقية[٢]، بل

---

(١) انظر ابن الأثير المصدر نفسه، ج٩ ، ٢٠٧، ٢٠٨، وانظر أيضاً، ابن شداد المصدر السابق، ص١٢٦

(٢) للوقوف على تفصيله، انظر (حامد زيان، الإمبراطور فردريك بربروسا والحملة الصليبية الثالثة، ص٥٨، ٥٩)

شمل - على ما يبدو - صد أخطار قوى مملكة أرمينية الصغرى، التى أدى ظهورها على مسرح الحوادث، إلى إسهام حكامها بنصيب وافر فى الحركة الصليبية ضد المسلمين فى ساحل بلاد الشام، سيما وقد تلقت التاج عن طريق الغرب الأوربى، الذى ما انفك يرسل الحملات الصليبية تباعا لحرب المسلمين، وتعزيز الوجود الصليبى فى ساحل بلاد الشام[1].

وعندما توفى صلاح الدين فى شهر صفر من سنة ٥٨٩هـ/مارس ١١٩٣م، وقسمت دولته بين ابنائه وبعض أفراد أسرته[2]، كانت شيزر ضمن البلاد

---

(١) انظر على الغامدى، بلاد الشام قبيل الغزو المغولى، ص٣٤٩، كافأ الامبراطور الألمانى هنرى السادس، ليو الثانى حاكم أرمينية الصغرى (٥٨٣-٦١٦هـ/١١٨٧-١٢١٩م) بأن بعث إليه تاجا من الغرب الأوربى، توج به ملكا على أرمينية الصغرى، فى كنيسة طرسوس سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م، وذلك نظير اسهامه فى الحملة الصليبية الثالثة على بلاد الشام (انظر، سعيد عاشور، سلطنة المماليك، ومملكة أرمينية الصغرى، فى كتاب بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى، ص٢٣٧) .

(٢) أحدثت وفاة صلاح الدين فى شهر صفر سنة ٥٨٩هـ/مارس ١١٩٣م، فراغا كبيرا، إذ لم يستطع أحد من أفراد أسرته ملأ ذلك الفراغ، خاصة بعد أن قسمت مملكته بينهم، فقد نال ابنه الأكبر الأفضل على دمشق والبلاد التابعة لها، بينما انفرد ابنه الثانى العزيز عثمان بحكم الأراضى المصرية، ونال الثالث وهو الظاهر غازى، حلب وما يتبعها من بلاد، أما العادل أبو بكر بن أيوب، فكان بيده الكرك والشوبك، إضافة إلى بعض البلاد الشرقية بإقليم الجزيرة، وكان نصيب المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه، حمص وما يتبعها من بلاد، أما حماه وما يتصل بها فكانت من نصيب محمد بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، فى حين خضعت بعلبك وأعمالها للملك الأمجد بهرام شاه، أما الإبن الرابع لصلاح الدين هو الملك خضر فكانت بيده بصرى وصرخد يتولى حكمهما من قبل أخيه الأفضل، صاحب دمشق، كما كان بيد بعض القادة العسكريين بعض الحصون والقلاع (ولمزيد من التفصيل انظر، على الغامدى، المرجع السابق، ص٤٠، ٤١) .

التى آلت إلى ابنه الملك الظاهر غياث الدين غازى، فقد ذكر ابن العديم أن ملكه شمل "حلب، والبيرة، وكفر طاب، وعزاز، وحارم، وشيزر، وبارين، وتل باشر"[١]، ويبدو ان الملك الظاهر استبقى الأمير سابق الدين عثمان بن الداية، حاكماً على شيزر، حيث أشار ابن واصل فى سياق حديثه عن تقسيم مملكة صلاح الدين بين أفراد أسرته عشية وفاته، إلا أن بعض البلاد والحصون ظلت "بيد جماعة من أمراء الدولة، منهم سابق الدين عثمان بن الداية، بيده شيزر وأبو قبيس"[٢] ورغم أن ظاهر النص يُوحى بأن ابن الداية استقل بحكم شيزر غداة وفاة صلاح الدين، وهو ما ذهب إليه أحد مؤرخى بلاد الشام المحدثين[٣]، إلاّ أنه يبدو أن ما ذكره ابن العديم هو الأقرب إلى الصحة، وأن ابن الداية لا يعدو كونه استمر والياً عليها من قبل السلطان الظاهر، ولعل مما يؤكد ما ذهبنا إليه ما ذكره ابن العديم فى موضع آخر، من أن الملك الظاهر غازى، سيَّر فى سنة ٥٩٢هـ/١١٩٥م أخاه الملك الزاهر داود، ومعه وفداً ضم سابق الدين صاحب شيزر الى الملك العزيز عثمان صاحب مصر "لتسكين الفتنة، والرجوع إلى ما فيه صلاح النية، والموافقة بين الأهل"[٤] .

---

(١) انظر زبدة الحلب، ج٣، ص١٢٥ .

(٢) انظر المصدر نفسه، ج٣، ص٤ .

(٣) على الغامدى، المرجع السابق، ص٤١ .

(٤) ابن العديم، المصدر السابق، ج٣ ص١٣٥ .

ويظهر من تعاقب الحوادث فى شيزر، أن الملك الظاهر كان حريصا على إبقاء حكم شيزر فى أسرة سابق الدين عثمان، فقد آل الأمر بها بعد وفاته إلى ابنه عز الدين مسعود، ومن بعده انتقل حكم شيزر إلى ابنه شهاب الدين يوسف بن مسعود بن سابق الدين، إلا أن وفاة الملك الظاهر غازى فى أواخر جمادى الآخرة من سنة ٦١٣هـ/أكتوبر ١٢١٦م، بعد أن كتب قبيل وفاته وصية تضمنت أن يكون الملك من بعده لابنه العزيز محمد رغم صغر سنه، على أن يدير شئون مملكته مجلس وصاية بزعامة الأمير شهاب الدين طغريل الخادم[١]، دفع - على ما يبدو - شهاب الدين حاكم شيزر على عدم التعبير عن ولائه الكامل للملك الجديد، وقد ظهر ذلك بوضوح عندما خرج الملك العزيز إلى بعض القرى التابعة لحلب والقريبة من شيزر، إذ لم "يحتفل به، وأنفذ إليه إقامة يسيرة، وهى شئ من الشعير على حمير، سخرها من بلد شيزر"[٢]،فشق ذلك على العزيز، واعتبره خروجا عن طاعته "وبقى فى قلبه منه"[٣] فقرر الإستيلاء على شيزر، باعتبارها تابعة لمملكة حلب، ولكى يتلافى العزيز إثارة غضب السلطان الكامل محمد بن العادل فى دمشق، أوفد إليه أحد أمرائه، يستأذنه فى ذلك، وليقطع على شهاب الدين بن الداية طلب

---

(١) ابن العديم، المصدر السابق، ج٣، ص٢١٤، ولمزيد من التفصيل، انظر على الغامدى، المرجع السابق، ص٧٧ - ٨١ .

(٢) ابن العديم، المصدر السابق، ج٣، ص٢١٤، ابن واصل، المصدر نفسه، ج٥، ص٦٤ .

(٣) ابن واصل، المصدر نفسه، ج٥، ص٦٤ .

الشفاعة من الكامل إليه فى أمره، فلا يتم للعزيز ما يريد، فأذن له الكامل بذلك، وسيَّر العزيز عسكره صوب شيزر، واستولى على ما فى رستاقها[١] من الغلال، ثم لحق العزيز بالجيش ونصب عليها المنجنيقات[٢]، وقدم على العزيز وهو على مشارف شيزر ابن خالته الملك المظفر صاحب حماة مساعداً ومعاضداً، كما تلقى معونة مادية من السلطان الكامل، قدرها خمسة الآف دينار مصرية، لينفقها على رجَّالة لديهم خبرة كافية بعمليات الحصار، وبعد أن أكمل العزيز استعداداته لبدء حصار شيزر، بعث إلى صاحبها شهاب الدين بن الداية يحذره من مغبة المقاومة حيث قال له "والله لئن قتل واحد من أصحابى لأشنقنك بدله "فكان لهذا التهديد وقعه على نفس ابن الداية، فاصدر أوامره إلى رماته الذين كانوا فى القلعة بأن لا يرمى أحد منهم بسهم، وأسقط فى يده، وأرسل إلى العزيز يبذل له تسليم شيزر، وأبو قبيس، مقابل أن يبقى

---

(١) الرستاق: لفظ فارسى معناه، القرية، أو محلة العسكر، أو البلد التجارى (محمد قنديل البقلى، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص١٥٩ .

(٢) المنجنيقات: هى أعظم آلات الحصار فى العصور الوسطى، مفردها منجنيق، وقد وصفه القلقشندى بأنه "آلة من خشب له دفتان قائمتان بينهما سهم طويل، رأسه ثقيل، وذنبه خفيف، تجعل كفة المنجنوق التى يجعل فيها الحجر بجذب حتى ترفع أسافله الأعلى أعاليه، ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذى فيه الكفة فيخرج الحجر منه، فما أصاب شيئا إلا أهلكه (أنظر صبح الأعشى، ج٢،ص١٤٤)، ولمعرفة المزيد عن أنواع المنجنيق واستخداماته، راجع كتاب الأنيق فى المناجيق، وضع أرنبغا الزردكاش، تحقيق نبيل محمد عبدالعزيز، ص٢٢ — ٢٦، الطرسوسى، تبصرة أرباب الألباب، ص١٦، ١٧، عبدالرحمن زكى، السلاح فى الإسلام ص٥٨، ٥٩ .

عليه أمواله التى بشيزر، ويحلف له على عدم مصادرة أملاكه التى بحلب[١]، فلم يجبه العزيز إلى ذلك إلاّ بشرط أن يقرر عليه جملة كثيرة من المال، قيل أنها مائة الف دينار، وافق عليها ابن الداية، فأطلق له العزيز ما كان ألزمه من أموال، وأذن له فى حمل أمواله من شيزر إلى حلب، ووفى له بوعده له بعدم التعرض لأملاكه التى بحلب[٢]، ثم دخل العزيز شيزر وتسلمها رسمياً، وصعد إلى قلعتها، وأقام بها بعض الوقت، ثم قفل عائداً إلى حلب[٣].

وينجلى من هذا أن الملك العزيز محمد، نجح فى الإطاحة بحكم أسرة ابن الداية فى شيزر، ورغم أن المصادر لم تفصح عن البديل الذى أسند إليه العزيز حكم شيزر، فإن الذى يمكن تأكيده هو ان شهاب الدين يوسف بن الداية، أرغم على الرحيل كليا عن شيزر، واستقر به المقام فى حلب، ليكون تحت نظر ومسمع العزيز، حيث أقام بها إلى أن مات[٤]، وبذلك ضمن العزيز بقاء شيزر - بما تتمتع به من أهمية موقع، ورخاء اقتصادى ملحوظ - ضمن ممتلكاته.

---

(١) ابن العديم، المصدر السابق، ج٣، ص٢١٥، ابن واصل المصدر نفسه، ج٥، ص٦٦، وأبو قبيس، حصن مقابل شيزر، انظر(ياقوت، المصدر نفسه، ج٢، ص٨١).

(٢) ابن واصل، المصدر نفسه، ج٥،ص٦٦.

(٣) ابن العديم، المصدر السابق، ج٣ ص٢١٥، ابن واصل، المصدر نفسه ج٥،ص٦٦.

(٤) ابن واصل، المصدر نفسه، ج٥،ص٦٦، حاشية المحقق.

والذى يجدر ذكره هنا، أنه عندما توفى الملك العزيز بن الظاهر فى شهر ربيع الأول من سنة ٦٣٤هـ/ ديسمبر ١٢٣٦م، وعمره ثلاث وعشرين سنة وشهورا، وتقرر إقامة ابنه الناصر يوسف صلاح الدين مكانه، وهو ما يزال صغير السن، إذ لم يكن قد تجاوز السابعة من عمره تقريبا، وتولى تدبير مملكته مجلس وصاية تألف من عدد من أمراء حلب، إضافة إلى جدته ضيفة خاتون إبنة العادل وشقيقة السلطان الكامل محمد[1]. اتفق شهاب الدين يوسف بن الداية – الذى كان يعيش فى حلب، بعد أن عزله الملك العزيز عن حكم شيزر – هو وكمال الدين بن العجمى، على أن سيرا، رجلا من جهتهما إلى الملك الأشرف موسى بن العادل حاكم البلاد الجزرية الواقعة شرقى الفرات[2]، يطمعانه فى ملك حلب، ووعداه بتقديم المساعدات المادية والمعنوية، وأوهماه بأن معظم أمراء حلب يوافقونهما على ذلك، واجتمع رسولهما فى دمشق بأحد الأمراء المقربين من الملك الأشرف، فنقل له ذلك،

---

(١) تألف مجلس الوصاية من الأمير شمس الدين لؤلؤ الأمينى، وعز الدين عمر بن محلى، والوزير جمال الدين القفطى، على أن يحضر المجلس جمال الدين إقبال الخاتونى، ويقوم بمهمة حلقة الإتصال بينهم وبين جدة الملك الصغير، ضيفة خاتون، وأن تكون العلامات على التوقيع والمكاتبات إليها، وبه أصبحت ضيفة خاتون تدير المملكة بصورة غير مباشرة (على الغامدى، المرجع السابق، ص٨٥)

(٢) عندما توفى الملك العادل أبو بكر سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م، قسمت دولته بين ابنائه الثلاثة، حيث استقل الكامل محمد بالأراضى المصرية، فى حين كانت دمشق وبيت المقدس وما يتبعهما من البلاد من نصيب المعظم عيسى، أما الأشرف موسى فكان نصيبه من التركة البلاد الجزرية (محمود عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٨٢).

فأنكره الأشرف، وأجاب بأنه لا يمكن أن يبدو منه" غدر ولا قبيح فى حق أحد من ذرية الملك الظاهر "ثم اتصل الخبر بالصاحبة ضيفة خاتون جدة الملك الناصر بن العزيز، وببعض الأمراء المقدمين فى حلب، فلما رجع الرسول إلى حلب قبض عليه وأصعد القلعة، حيث سئل عن ذلك، فأخبر بحقيقة الأمر، ونقل إلى دربساك حيث أعتقل بها، ثم أحضر كمال الدين بن العجمى، وشهاب الدين بن الداية واعتقلا بالقلعة وذلك فى شهر جمادى الأول من السنة نفسها، فداما فى الاعتقال إلى أن مات السلطان الكامل محمد فى رجب من سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م ثم أطلقا[١] .

وعندما هزم السلطان الخوارزمى جلال الدين منكبرتى أمام جحافل المغول، واندحر على رأس قواته إلى اقليم الجزيرة، حيث اغتاله أحد الأكراد قرب ميافارقين سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م[٢]. وبموته سقطت دولته، وتفرق عساكره، حيث دخلوا فى بداية الأمر إلى آسيا الصغرى، واستخدمهم السلطان السلجوقى علاء الدين قيقباذ الأول (٦١٦-٦٣٤هـ/١٢١٩-١٢٣٦م) إلا أنهم ما لبثوا أن أساءوا السيرة عشية وفاته، فقبض ابنه كيخسرو الثانى (٦٣٤-٦٤٣هـ/١٢٣٦-١٢٤٥م) على زعيمهم بركة خان، فتركوا خدمته واتجهوا إلى اقليم الجزيرة، فاستمالهم صاحبها الصالح أيوب، وأرسل إلى أبيه الكامل

---

(١) ابن واصل، المصدر نفسه، ج٥، ص١٢٨ -١٣٠ .

(٢) لمزيد من التفصيل، انظر النسوى، سيرة جلال الدين، ص٣٨٢ - ٣٨٤ .

محمد بن العادل يستأذنه فى تجنيدهم، وأقطعهم مواضع بإقليم الجزيرة، وتوسط فى إطلاق سراح زعيمهم بركة خان من أسر السلطان السلجوقى كيخسرو، ورغم أن الخوارزمية انقلبوا على الصالح أيوب بعض الوقت، حيث بلغهم وفاة والده الكامل سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م، إلا أنه عندما تعرض الصالح للاعتقال فى الكرك سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م . نجح أحد اتباعه المخلصين فى إقناع زعيم الخوارزمية بركة خان، فى العودة من الجزيرة ومناصرة الصالح أيوب ضد خصومه، وذلك بالإغارة على مملكتى حلب وحمص، بسبب تحالفهما مع عمه الصالح إسماعيل، والذى يهمنا هنا، هو أن الهجوم الخوارزمى الذى استهدف مملكة حلب شمل مدينة شيزر، فقد وصل الخوارزمية بغاراتهم إليها، وأجبروا أهلها على الإعتصام بالربض الذى تحت القلعة، فركز الخوارزمية هجومهم على الربض الأسفل "واحتمى الربض الأعلى يوما" إلا أنه تعرض لهجوم كاسح فى اليوم التالى وتمكن الخوارزمية من اقتحامه ونهب ما أمكنهم نهبه، ثم أجبروا على الخروج منه، بعد أن أمطرهم رجال قلعة شيزر بوابل من الجروح والحجارة، أنزلوا بهم خلالها خسائر جسيمة فى الأرواح وذلك فى سنة ٦٣٨هـ/١٢٤١م[1] .

---

(١) ابن واصل، المصدر نفسه، ج٥، ص٢٩٠، وانظر أيضا ابن العديم، المصدر السابق ج٣، ص٢٥٦ .

وعندما تعرضت بلاد الشام سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م لهجوم شامل من قبل جحافل المغول[١]، الذين نجحوا فى السيطرة على حلب ودمشق وحماة، التى تعد كبرى مدن الشام آنذاك. وأصبح استيلاؤهم على بقية مدن الشام الأخرى مسألة وقت كان على القائد المغولى كيتوبوقا أن يختاره متى شاء. كانت مدينة شيزر إحدى مدن الشام الشمالية التى تعرضت لهذا الهجوم المغولى المدمر، حيث دخلها الجيش المغولى بقيادة كيتوبوقا ونهب حواصلها وأرسلها إلى الزعيم المغولى هولاكو فى الشرق[٢]. وظلت شيزر تحت الاحتلال المغولى حتى سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م، حيث تمكن السلطان الظاهر بيبرس من إخراجهم منها، وذلك بعد هزيمة المغول المروعة فى معركة عين جالوت الشهيرة سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، والتى كان من أبرز نتائجها تطهير بلاد الشام كليا - بما فى ذلك مدينة شيزر - من نير الاحتلال المغولى[٣]. وقد حرص السلطان الظاهر بيبرس على إعادة إعمار ما تهدم من مدينة شيزر وقلعتها، مع غيرها من مدن وقلاع بلاد الشام التى تعرضت للدمار من قبل جحافل المغول "فبنيت جميعها فى أيامه، ونظفت خنادقها، ووسعت بدناتها، وحملت إليها العدد، وجرد

---

(١) عن الهجوم على بلاد الشام، انظر، السيد الباز العرينى، المغول، ص٢٤٢ - ٢٤٩، فؤاد عبدالمعطى الصياد، المغول فى التاريخ، ج١، ص ٢٩٤ - ٢٩٧، محمود سعيد عمران، المغول وأوربا، ص٥٦-٥٩، عبدالله الغامدى، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين ص ٨٧ - ١٠٠ .

(٢) ابن عبد الظاهر الروض الزاهر، ص ٦٦ .

(٣) للوقوف على تفصيله، انظر (اليونينى، ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص٣ - ٧، أبوشامة الذيل على الروضتين،ص ٢١١، بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ج٩، ص٦٩، ابن كثير، البداية والنهاية ج١٣، ص ٢٢٣، المقريزى، السلوك، ج١، ق٢، ص٤٤٠.

إليها المماليك والأجناد"[١]

ويبدو أن شيزر عادت إلى سابق عهدها مدينة ثغرية، تنطلق منها جيوش دولة المماليك لمواجهة الأخطار الخارجية التى كانت تتعرض لها بلاد الشام الشمالية من ناحية آسيا الصغرى، يؤكد ذلك ما ذكره ابن عبد الظاهر من أنه فى سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م توجهت فرق من جيش المماليك تعرف بالغيارة من البيرة وغيرها إلى جهة كركر، فأحرقوا بلدها وغنموا مواشيها، ثم توجهوا إلى قلعة أخرى بين كركر والكختا إسمها "شرموشاك" ودخلوها وغنموا منها مواشى كثيرة، وأخرجوا من الفلاحين إلى "البلاد السلطانية" خلقا كثيرا" ورسم بترتيب هؤلاء الناجعين فى "البلاد الحمصية،والشيزرية، وجهات أنطاكية"[٢]

وكان لأهل شيزر دور فاعل فى القضاء على طائفة الإسماعيلية فى بلاد الشام. ذلك أنه عندما غضب السلطان الظاهر بيبرس على زعيمهم نجم الدين حسن بن الشعرانى، بسبب الرسالة التى بعث بها إلى السلطان بيبرس وهو على حصن الأكراد فى جمادى الأولى سنة ٦٦٨هـ/ديسمبر ١٢٦٩م، يطلب فيها تخفيض الجزية التى كان يحملها إلى بيت المال، وقدرها مائة الف درهم فى

---

(١) ابن عبد الظاهر. المصدر نفسه. ص ٩٣

(٢) ابن عبدالظاهر. المصدر نفسه. ص ٣٥١، وكركر، حصن على الضفة الغربية للفرات. على مكان مرتفع (ابن عبدالظاهر. المصدر نفسه. ص٢٧. حاشية المحقق)، والكختا: حصن بالقرب من كركر على الشاطئ الغربى للفرات أيضا. وصفه ابن عبدالظاهر بأنه "من أعظم الحصون وأشمخها، وأسمقها وأحصنها وأتقنها، على صخر شاهق فى الهواء، لا يلحقه رام. وإذا رمى من تحته رام لا يصل سهمه إلا إلى بعض الصخر، وهو من سائر جوانبه حصين. وله باشورة لاصقة به (انظر المصدر نفسه. ص ٢٨)

العام، إذ لم يقبل منه بيبرس ذلك، وأمر على الفور بعزل نجم الدين وابنه عن "نيابة الدعوة" وولى بدلا عنهما الأمير صارم الدين بن مبارك بن الرضى صاحب حصن العليقة، وعندما توجه صارم الدين إلى حصن مصياف لتقرير أمره، وذلك فى جمادى الآخرة من السنة نفسها، جرد بيبرس صحبته "جماعة من شيزر وغيرها"[1]، وعندما رفض نجم الدين وابنه تسليم مصياف إلى صارم الدين بالطرق السلمية، اشترك أهل شيزر مع عسكر سيره بيبرس لمهاجمة مصياف، حيث تسلموها فى العشر الأوسط من شهر رجب من السنة ذاتها[2].

وعندما تربع السلطان سيف الدين قلاوون على عرش سلطنة المماليك يوم الأحد العشرين من رجب سنة ٦٧٨هـ/نوفمبر ١٢٧٩م، وتلقب بالملك المنصور وصار اسمه يذكر فى الخطبة على المنابر فى مصر، لم يقابل بالرضا من بعض كبار أمراء المماليك البحرية، إذ كانوا يرون بأن هناك من هو أحق بالسلطنة منه، إضافة إلى غضبهم الشديد من إقدام قلاوون على خلع بدر الدين سلامش

---

(١) ابن عبدالظاهر، المصدر نفسه، ص ٣٦٦، وحصن الأكراد: حصن منيع على الجبل الذى يقابل حمص من جهة الغرب، بينها وبين بعلبك (انظر ياقوت، المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٦٤)، أما حصن العليقة. فيبدو من سياق الحديث، أنه أحد حصون الإسماعيلية فى الشام، ومصياف، أو مصياب، حصن مشهور للإسماعيلية بالساحل قرب طرابلس (ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص١٤٤)

(٢) ابن عبدالظاهر، المصدر نفسه، ص٣٦٦، ولمعرفة المزيد عن جهود بيبرس ضد طائفة الإسماعيلية فى الشام، انظر (عثمان عبدالحميد عشرى، الإسماعيليون فى بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية، ص٢٠٦ - ٢١٣)

بن الظاهر بيبرس من الحكم، وإجلائه مع أحد إخوته عن الأراضى المصرية، على أن أخطر عدو واجه قلاوون فى تلك المرحلة هو الأمير سنقر الأشقر نائب السلطنة فى دمشق، الذى رفض أن يعترف بسلطنة قلاوون، وأعلن استقلاله بالشام، حيث جمع الأمراء هناك ودعاهم إلى طاعته، وتلقب بالملك الكامل وركب بشعار السلطنة فى دمشق فى الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ٦٧٨هـ/١٢٨٠م[١]. وكاتب نواب المدن والقلاع الشامية فمنهم من أطاعه ومنهم من امتنع عليه "وكان ممن أطاعه نائب صهيون وبرزية وبلانطس والشغر وبكاس وشيزر وعكا وحمص"[٢].

وعندما خرجت جيوش السلطان المنصور قلاوون من مصر إلى بلاد الشام لإخماد ثورة الأمير سنقر الأشقر، ونجحت بقيادة الأمير علم الدين سنجر الحلبى فى السيطرة على دمشق، وأجبرت سنقر الأشقر على ترك دمشق، والتوجه إلى حصن صهيون حيث تحصن به، صدرت أوامر قلاوون بتسيير ثلة من الجيش المصرى بقيادة الأمير عز الدين الأفرم، لحقت بمجموعة أخرى من

---

(١) للوقوف على تفصيلات أكثر عن خروج سنقر الأشقر، على السلطان المنصور قلاوون، انظر(ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور، ص٦١،٦٢، ابن كثير، المصدر نفسه، ج١٣، ص٢٧٩، ابن أيبك الدوادار، الدرة الزكية، ص٣٥٤، ابن العبرى، تاريخ مختصر الدول، ص٥٠٣، الذهبى، دول الإسلام، ص٣٧٧،٣٧٨، سعيد عاشور، العصر المماليكى، ص٦٩، قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك ص ١١٦،١١٧، أحمد مختار العبادى، فى التاريخ الأيوبى والمملوكى، ص ٢٣٣، ٢٣٤، الباز العرينى، المماليك، ص٢٣٧) .

(٢) انظر، ابن الفرات، المصدر نفسه، ج٧، ص١٧٢، وانظر أيضا ابن عبدالظاهر، المصدر السابق، ص٦٧ .

الجيش كانت قد توجهت فى طلب سنقر الأشقر المتحصن بصهيون وغيره من المدن والقلاع الشامية التى قد أطاعته، وكان قد ولى عليها نوابا من قبله ومنها مدينة شيزر، ونظرا لما تتمتع به شيزر من أهمية بحكم أنها من "أطراف البلاد"[1]، فضلا عما كانت تتمتع به من حصانة ومنعة، فقد ركز الجيش الموالى للسلطان قلاوون على مهاجمة شيزر دون غيرها من المدن والقلاع التى كانت تخضع لسلطان سنقر الأشقر، ونظرا أيضا لحرص قلاوون وقواده على عدم إلحاق الضرر بحصانة شيزر فقد نازلوها "مضايقة لا محاصرة"[2]. وظل الحال على ذلك حتى وردت الأخبار فى أوائل شهر جمادى الآخرة سنة ٦٧٩هـ/أكتوبر ١٢٨٠م بعبور المغول الفرات قاصدين بلاد الشام، مستغلين اختلاف كلمة المسلمين، حيث خرج عسكر السلطان قلاوون من دمشق، ولحقت به جموع غفيرة من الجيوش التى قدمت من الأراضى المصرية، والتقى الجميع على حماة،وأرسلوا فرقة من الكشافة لاستطلاع أخبار المغول، وبعثوا فى الوقت ذاته إلى الأمير سنقر الأشقر، يستميلونه إليهم، حيث طالبوه بالتخلى عن حركته الانفصالية، وذكروا له بأن مداهمة المغول بلاد الشام آنذاك يعود بالدرجة الأولى إلى إختلاف الكلمة، وكان لهذا النداء أثره الإيجابى على نفس سنقر، فأصدر أوامره إلى عسكره بالنزول من صهيون، وإلى

---

(١) انظر ما سبق، ص١٢، ١٣ .

(٢) ابن الفرات، المصدر نفسه، ج٧، ص١٧٢، ١٧٣، وانظر أيضا اليونينى، المصدر نفسه، ج٤، ص٤٤ .

نائبه "الحاج أزدمر من شيزر" ورغم أن عسكره لم يخالط جيش السلطان قلاوون، إلا أنهم أجمعوا على اتفاق الكلمة ودفع العدو[1].

ويبدو أن هذا الاتفاق لم يكن نهائيا بين الطرفين، فقد ذكر البعض أنه بعد رجوع القوى المغولية عن بلاد الشام يوم الأحد الثالث والعشرين من جمادى الآخرة من السنة نفسها، بعد أن مكثت فى حلب يومين، ارتكبت خلالهما الكثير من المذابح ونهب الدور وإحراق المساجد والمدارس، جرد المنصور ثلة من عسكره مقدمهم الأمير عز الدين أيبك الأفرم ومعه الأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى، من دمشق إلى شيزر، ثم ترددت الرسل بين السلطان المنصور قلاوون والأمير سنقر الأشقر فى الصلح، وذلك فى العشر الأوسط من شهر صفر سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م، حيث اتفق الطرفان على أن يسلم سنقر مدينة شيزر لنواب قلاوون، ويعوضه عنها الشغر وبكاس وكانتا قد أخذتا منه، ويضاف له أيضا أفامية وكفر طاب وأنطاكية وضياع أخرى متفرقة، ويظل بيده أيضا ما كان له من البلاد وهى صهيون وبلانطس وبرزية واللاذقية وستمائة فارس لنصرة الإسلام، كما تضمن الصلح أن أمراءه إن آثروا البقاء عنده فلهم ذلك، وإن حضروا إلى السلطان قلاوون يكونوا آمنين ولا يؤاخذوا، وانتظم

---

(١) ابن الفرات، المصدر السابق، ج٧، ص١٧٥، ١٧٦ ، ابن العبرى، المصدر السابق، ص٥٠٤، القرمانى، المصدر نفسه، ج١، ق٣، ص٦٨٢، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٢٩٨ .

الصلح على هذا الحال "وعادت العساكر الشامية والمصرية من شيزر إلى دمشق المحروسة للاستغناء عنهم بالصلح"[١] .

وبهذا عادت شيزر إلى طاعة السلطان المنصور سيف الدين قلاوون، ليسهم أهلها فى إنقاذ بلاد الشام من الخطر المغولى المتكرر عليها، إذ لاشك أنهم أسهموا بدور فاعل فى تلك الهزيمة المروعة التى أنزلها جيش دولة المماليك بجموع المغول التى أغارت على بلاد الشام سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م، وذلك فى معركة حمص الشهيرة التى دارت رحاها بين الطرفين فى شهر رجب، أكتوبر من السنة نفسها[٢]. ومما يؤكد اشتراك أهل شيزر فى هذه المعركة، وتعقبهم للمغول حتى خروجهم من بلاد الشام، ما ذكره العينى من أن الجيوش المغولية عندما ولت هاربة لا تلوى على شئ، غداة هزيمتها فى هذه المعركة، كتبت البشائر بذلك إلى كافة الأقطار، ولم يبق بلد ولا مدينة ولا ثغر من ثغور الإسلام بمصر والشام إلا وأعلنت فيه البشائر، وقرئت به كتب النصر على المنابر "وبطقت البطائق إلى الحصون القريبة من مسالك التتار التى سلكوها للفرار، مثل البيرة وعينتاب ودربساك والرواندان وأبى قبيس وشيزر

---

(١) ابن الفرات، ج٧، ص٢٠٩، ٢١٠، انظر أيضا ابن عبدالظاهر، المصدر السابق، ص٨٧، بيبرس المنصورى، التحفة الملوكية فى الدولة المملوكية، ص٩٨، العينى، عقد الجمان، عصر سلاطين المماليك، ج٢، حوادث وتراجم، ٦٦٥ - ٦٨٨ هـ، ص ٢٤٧، ٢٤٨ .

(٢) لمزيد من التفصيل عن معركة حمص، انظر (سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص١١٦٧، عبدالله الغامدى، المرجع نفسه، ص٣٤١ - ٢٤٦) .

بأن يأخذوا لهم المراصد، فصار العشرة منهم يقتلهم من المسلمين واحد"[1]. ثم قامت بدور كبير فى إنجاح مشروع إقتلاع الوجود الصليبى فى ساحل بلاد الشام من جذوره، وذلك بمشاركة جيوش السلطان المنصور سيف الدين قلاوون فى استعادة طرابلس،والقضاء كليا على ماكان يعرف بإمارة طرابلس الصليبية، وذلك فى الرابع من ربيع الآخر من سنة ٦٨٨هـ/ابريل١٢٨٩م[2]، وكذلك مشاركة إبنه الأشرف خليل، الذى حقق آمال من سبقه من زعماء الجهاد ضد الصليبيين، بدق آخر مسمار فى نعش الوجود الصليبى فى ساحل بلاد الشام، وذلك باستعادة عكا منهم فى سنة ٦٩٠هـ/مايو ١٢٩١م، ومن ثم تتبع فلولهم فى بقية مدن الساحل الشامى، وإجبارهم على الرحيل عنها إلى غير رجعة[3].

---

(١) انظر، عقد الجمان، المصدر نفسه، ص٢٨١ .

(٢) عن استرداد طرابلس، والقضاء على ما كان يعرف بإمارة طرابلس الصليبية، انظر(سعيد عاشور، المرجع السابق، ص١١٦٩ – ١١٧٦، حامد غنيم، المرجع نفسه، ج٣، ص ٢٠٥–٢١٥، عمر عبد السلام تدمرى، تاريخ طرابلس، ص ٥٨٠ – ٥٨٧، عبدالله الفامدى، المرجع نفسه، ص٢٦٢–٢٧١) .

(٣) عن استراد عكا واقتلاع الوجود الصليبى فى ساحل بلاد الشام من جذوره، انظر(سعيد عاشور، المرجع السابق، ج٢، ص١١٧٦–١١٨٤، حامد غنيم، المرجع نفسه، ج٣، ص٢٢١ – ٢٣٥، محمد جمال الدين سرور، دولة بنى قلاوون فى مصر، ص ٢٤٠ – ٢٤٤، رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص ٧٠١ – ٧١٣، عبدالله الفامدى، المرجع نفسه، ص ٢٧٢ – ٢٨٥) .

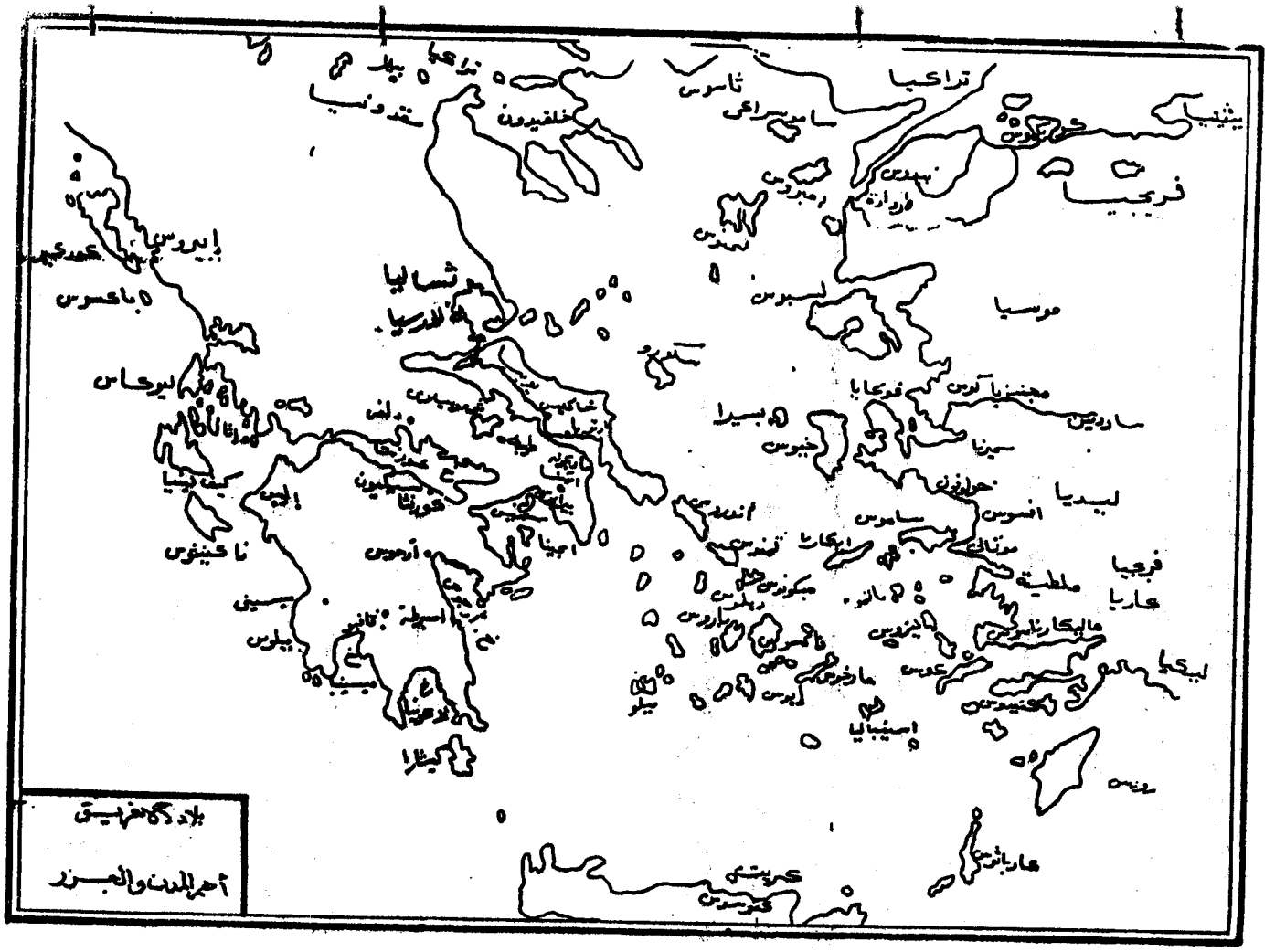

خريطة بلاد اليونان (الاغريق)

نقلاً عن المرحوم عبد الرحمن صدقي ، لتلاميذ المدارس الابتدائية والرشدية

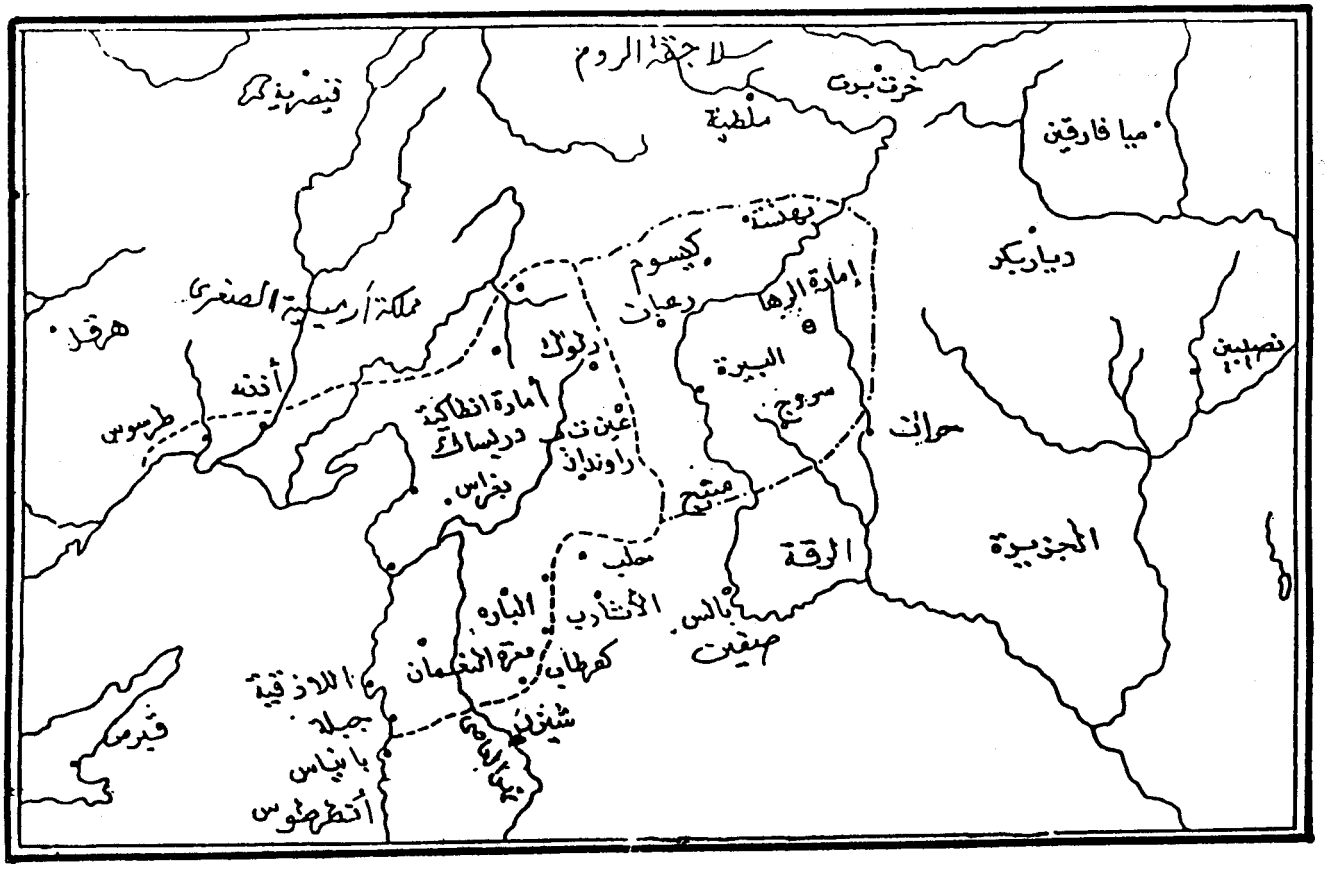

حدن شمال الشام، وتبدو شيزر قريبة
من إمارة انطاكية الصليبية.

شمال الشام

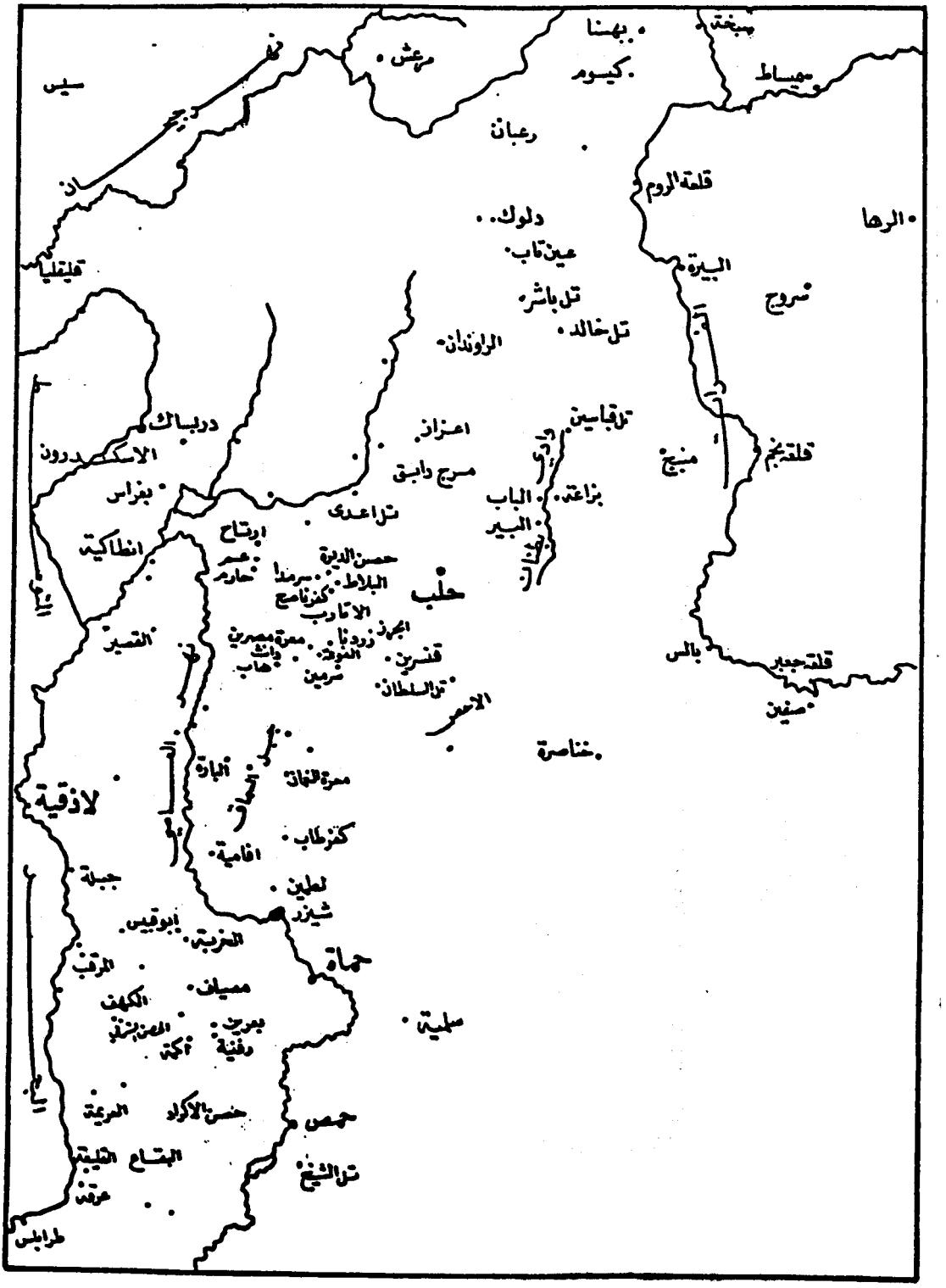
بهنا
كيسوم
مبغة
مرعش
مصياط
رعبان
قلعة الروم
الرها
دلوك
عين تاب
البيرة
قليقلية
تل باشر
سروج
تل خالد
الراوندان
تل باسين
دربساك
اعزاز
منبج
قلعة نجم
الاسكندرون
مرج دابق
بغراس
بزاعة
الباب
تل اعدى
البير
انطاكية
ارتاح
حصن الدير
عمر
حارم
البلاط
سرمدا
حلب
كفرناصح
الاتارب
القصير
المعرة
زردنا
قنسرين
بالس
قلعة جعبر
تل السلطان
الاعمر
صفين
خناصرة
المارة
معرة النعمان
لاذقية
كفرطاب
افامية
جبلة
لطامين
شيزر
ابوقبيس
المزيرة
حماة
الرقب
مصياف
الكهف
سلمية
بعرين
رفنية
تكة
حصن الاكراد
المرقبة
حمص
البقاع
تل الشيخ
عرقة
طرابلس

المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية:

- ابن الأثير (على بن أبى الكرم بن محمد الشيبانى، ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م)
الكامل فى التاريخ، ط بيروت سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- ابن أيبك الدوادار (أبو بكر عبدالله، ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م) .
الدرة الزكية فى أخبار الدولة التركية، تحقيق ألرخ هارلمان، ط القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧١م .
- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكى، ت٨٤٧هـ/١٤٧٠م)
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ط القاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .
- ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد، ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)
العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر، ط بيروت ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م .
- ابن دقماق (صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى، ت٨٠٩ هـ) .
الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين على، ط بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- ابن الشحنة (أبو الفضل محمد، ت٨٩٠هـ/١٤٨٥م) .
الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب، تقديم عبدالله محمد الرويش، ط دمشق ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
- ابن شداد (أبو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع، ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م) .
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، أو سيرة صلاح الدين، تحقيق جمال الدين الشيال، ط القاهرة ١٩٦٤م .
- ابن شداد (عز الدين أبو عبدالله محمد بن على الحلبى، ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م)
الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق سامى الدهان، ط دمشق ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م .

- ابن عبدالظاهر (محيى الدين عبدالله بن رشيد السعدى، ت ٦٢٩هـ/١٢٩٢م) .
الروض الزاهر فى سيرة السلطان الظاهر، تحقيق عبدالعزيز الخويطر، ط الرياض ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .
تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور،تحقيق مراد كامل، ط القاهرة١٩٦١م.
- ابن العبرى (غريغوريوس أبو الفرج الملطى، ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م)
١- تاريخ الزمان، نقله الى العربية الأب إسحق أرملة، وقدم له الدكتور جان موريس فييه، ط بيروت سنة ١٩٩١م .
٢- تاريخ مختصر الدول، ط بيروت .
- ابن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله، ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م)
١- بغية الطلب فى تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، ط دمشق سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٢- زبدة الحلب فى تاريخ حلب، تحقيق سامى الدهان، ط دمشق سنة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.
- ابن العمرانى (محمد بن على بن محمد، ت ٥٨٠هـ) .
الأنباء فى تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائى، ط الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم بن على، ت٨٠٧هـ/١٤٠٥م)
تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين رزيق ونجلاء عز الدين، ط بيروت .
- ابن القلانسى (أبو يعلى حمزة، ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م) .
ذيل تاريخ دمشق، ط بيروت ١٩٠٦م .
- ابن كثير (أبو الفدا الحافظ بن كثير، ت ٧٧٤هـ/١٣٧٦م) .
البداية والنهاية، ط بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
- ابن منقذ (أسامة بن مرشد بن على بن نصر الكنانى، ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م)
كتاب الاعتبار، تحقيق فيليب حتى، ط جامعة برنستون الولايات المتحدة ١٩٣٠م .
- ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم، ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م) .
مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، جـ٢، تحقيق جمال الدين الشيال، ط ١٩٥٧م.
- ابن الوردى (زين الدين عمر، ت٧٤٩هـ/١٣٨٤م)
- تتمة المختصر فى أخبار البشر، ط النجف سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)

- أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن المقدسى، ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م)
كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين، ط القاهرة سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م .
الذيل على الروضتين، تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين، نشر ومراجعة السيد عزت العطار الحسينى، ط بيروت ١٩٧٤م .
- أبو الفدا (عماد الدين اسماعيل، ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)
المختصر فى أخبار البشر، ط بيروت .
- أرنبغا الزردكاش .
الأنيق فى المناجيق، تحقيق نبيل محمد عبدالعزيز، ط القاهرة سنة ١٩٨١م .
- الأنطاكى(يحيى بن سعيد)
تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى، صنفه تتبعاً لتاريخ سعيد بن البطريق، الموسوم بالتاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ط بيروت، ١٩٠٥م .
- البلاذرى (أحمد بن يحيى بن جابر، ت حوالى سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م)
فتوح البلدان، عنى بمراجعته والتعليق عليه رضوان محمد رضوان، ط بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- البندارى (الفتح بن على، ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م)
سنا البرق الشامى، تحقيق فتحية النبراوى، ط ١٩٧٩م.
- بيبرس الدوادار (ركن الدين بيبرس الخطائى المنصورى، ت ٧٢٥هـ/١٣٢٥م)
١- التحفة الملوكية فى الدولة التركية، تحقيق عبدالحميد صالح حمدان، ط القاهرة سنة ١٤٠٧هـ/١٩٧٨م .
٢- زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة، جـ٩، تحقيق زبيدة عطا، ط جدة .
- الحريرى (أحمد بن على، كان حياً سنة ٩٢٦هـ)
الإعلام والتبين فى خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين، تحقيق سهيل زكار، ط دمشق سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- الذهبى (الحافظ شمس الدين، ت ٧٤٦هـ/١٣٥٤م) .
دول الإسلام، ط بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- سبط ابن الجوزى (ابو المظفر يوسف بن قزاوغلى، ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)
مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، جـ٨، ط حيدر أباد سنة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م .

- السيوطى (جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر بن محمد، ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) .
تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، ط القاهرة ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.
- الطرسوسى (مرضى بن على، عاش فى القرن السادس الهجرى)
تبصرة أرباب الألباب فى كيفية النجاة فى الحروب من الأسواء، ونشر أعلام العلم فى العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء، تحقيق كلود كاهن، نشر مجلة معهد الدراسات الشرقية فى دمشق، جـ١٢، سنة ١٩٤٧، ١٩٤٨ .
- العماد الأصفهانى (عماد الدين محمد بن محمد، الشهير بالعماد الكاتب ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م) خريدة القصر وجريدة العصر، قسم الشام، ط دمشق .
- العينى (بدر الدين محمود، ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)
عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان،عصر سلاطين المماليك،تحقيق محمد محمد أمين ط القاهرة سنة ١٤٠٧-١٤٠٨هـ / ١٩٨٧-١٩٨٨م .
- القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود، ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م)
آثار البلاد وأخبار العباد، ط بيروت ١٩٦٠م.
- القلقشندى (أحمد بن على، ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)
صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، ط القاهرة سنة ١٩١٩م .
- المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبدالقادر، ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)
السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ط القاهرة سنة ١٩٥٦م.
- النسوى (نور الدين محمد بن أحمد بن على بن محمد المنشى،كان حيا قبل٦٣٩هـ)
سيرة جلال الدين منكبرتى، تحقيق حافظ حمدى، ط القاهرة ١٩٥٣م .
- الواقدى (أبو عبدالله محمد بن عمر، ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م) .
فتوح الشام، صححه ووضع حواشيه، وليد ناسوليس، ط كلكته ١٢٧١هـ ١٨٥٤م.
- ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبدالله الرومى، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)
معجم البلدان، ط بيروت سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .
- اليونينى (قطب الدين أبو الفتح موسى بن أحمد البعلبكى، ت ٧٢٦هـ/١٢٢٦م) .
ذيل مرآة الزمان، ط حيدر أباد .

ثانيا: المراجع العربية والمترجمة:

- أحمد عدوان
الدولة الحمدانية، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨١م.
- أحمد مختار العبادى.
فى التاريخ الأيوبى والمملوكى، ط الإسكندرية ١٩٩٢م.
- أرنست باركر.
الحروب الصليبية، نقله الى العربية: السيد الباز العرينى، ط بيروت .
- بدر عبدالرحمن محمد .
الأغالبة والأدارسة فى بلاد المغرب، ط القاهرة سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
- جوزيف نسيم يوسف
تاريخ الدولة البيزنطية، ط الاسكندرية سنة ١٩٨٤م .
- حامد زيان غانم .
الامبراطور فردريك بربروسا والحملة الصليبية الثالثة، ط القاهرة سنة ١٩٧٧م.
- حامد غنيم أبو سعيد
١- الجبهة الإسلامية المتحدة، جـ٣، ط القاهرة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
٢- عصر الدول الإقليمية، ط القاهرة ١٩٧٠م .
- حسن حبشى .
نور الدين محمود والصليبيون، ط القاهرة ١٩٤٨م .
- حسنين محمد ربيع
دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ط القاهرة سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م .
- حسين مؤنس .
رائد نصر المسلمين على الصليبيين، نور الدين محمود سيرة مؤمن صادق، ط جدة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .
- حنا الفاخورى، ديوان امرئ القيس، ط بيروت ١٩٨٩م .
- ستيفن رنسيمان .
تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العرينى، ط بيروت .

- سعيد عبدالفتاح عاشور .
١- أضواء جديدة على الحروب الصليبية، ط القاهرة سنة ١٩٦٤م .
٢- بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى، ط.بيروت سنة ١٩٧٧م.
٣- الحركة الصليبية، ط القاهرة ١٩٨٢م .
٤- العصر المماليكى فى مصر والشام، ط القاهرة ١٩٧٦م .
- سيد أحمد الناصرى.
الروم والمشرق العربى، ط القاهرة سنة ١٩٩٣م .
- السيد الباز العرينى
الأيوبيون ط بيروت ١٩٦٧م .
المماليك ط بيروت ١٩٧٩م .
المغول ط بيروت سنة ١٩٦٧م .
- عبد الرحمن زكى
السلاح فى الإسلام، ط القاهرة سنة ١٩٥١م .
- عبد السلام عبد العزيز فهمى .
تاريخ الدولة المغولية فى ايران، ط القاهرة سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- عبدالله بن سعيد الغامدى .
جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى، ط مكة ١٤١٠هـ .
مقومات حركة الجهاد ضد الصليبيين زمن عماد الدين زنكى وابنه نور الدين محمود، ط مكة المكرمة ١٤١٤هـ .
عثمان عبد الحميد عشرى الإسماعيليون فى بلاد الشام،على عصر الحروب الصليبية، ط الخرطوم ١٩٨٢/١٩٨٣م .
- على محمد عودة الغامدى .
١- بلاد الشام قبيل الغزو الصليبى، ط مكة المكرمة سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
٢- بلاد الشام قبيل الغزو المغولى، ط مكة المكرمة سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

- علية عبدالسميع الجنزورى .
الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية فى العصور الوسطى، ط القاهرة سنة ١٩٧٩م .
- عماد الدين خليل .
نور الدين محمود الرجل والتجربة، ط دمشق ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
- عمر عبدالسلام تدمرى .
تاريخ طرابلس، ط بيروت .
- عمر كمال توفيق .
مقدمات العدوان الصليبى على الشرق العربى"الإمبراطور البيزنطى يوحنا تزمسكس وسياسته الشرقية، ط الاسكندرية سنة ١٩٦٧م .
- فايد حماد عاشور
جهاد المسلمين فى الحروب الصليبية "العصر الفاطمى والسلجوقى والزنكى"، ط بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨١م .
- فؤاد عبدالمعطى الصياد
المغول فى التاريخ ط بيروت سنة ١٩٨٠م .
- فيليب حتى
تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد وعبدالكريم رافق، مراجعة جبرائيل جبور ط، بيروت ١٩٨٢م .
- قاسم عبده قاسم
عصر سلاطين المماليك، ط القاهرة .
- ليلى عبدالجواد إسماعيل
الدولة البيزنطية فى عصر هرقل وعلاقتها بالمسلمين، ط القاهرة ١٩٨٥م .
- كى لسترنج
بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- محمد جاسم المشهدانى
تاريخ إمارة بنى منقذ العربية، ط بغداد ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

- محمد جمال الدين سرور
دولة بنى قلاوون فى مصر، ط القاهرة
- محمد على حيدر
الدويلات الإسلامية فى المشرق، ط القاهرة ١٩٧٤م
- محمد قنديل البقلى
التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ط القاهرة سنة ١٩٨٣م
- محمد كرد على
خطط الشام، ط بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م
- محمد محمد الشيخ
الإمارات العربية فى بلاد الشام
- محمد مؤنس عوض
الزلازل فى بلاد الشام، عصر الحروب الصليبية، ط القاهرة ١٩٩٦م.
- محمود سعيد عمران
١- تاريخ الحروب الصليبية، ط الاسكندرية ١٩٩٦م
٢- المغول وأوربا، ط الاسكندرية سنة ١٩٩٦م .
- مسفر سالم الغامدى
الجهاد ضد الصليبيين فى الشرق الاسلامى قبل قيام الدولة الأيوبية فى مصر، ط جدة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م

ثالثا: المراجع الأجنبية:

- Gardiner, A.H., Ancient Egyptian Onomastica, Oxford, 1947.
- Lane – Poole, S., Saladine and the Fall of Kingdom of Jerusalem, Beirut (1964) .